الطب النبوي –الوقائي والعلاجي– في ضوء الطب الحديث

خنيش مفيدة
د. حسام الدين مخلوف[1]

ملخص

تناول هذا البحث بالدراسة والتحليل موضوع الطب النبوي، فقد خلَّف النبي ﷺ للأمة إرثًا نبويًّا عظيمًا، فيه صلاح للناس في دينهم ودنياهم وآخرتهم، حيث ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام أحاديث كثيرة وتوجيهات طبية شاملة لمعظم جوانب حياة الإنسان الصحية، مثل تقرير سنة التداوي، وأنه ما خلق الله تعالى من داء إلا جعل له دواء إلا الموت، وكذلك ما ثبت عنه ﷺ في فضل التداوي ببعض ما خلقه الله تعالى من نباتات أو أعشاب، كما اشتملت توجيهات النبوة أيضًا على جانب الوقاية الصحية للإنسان، فجاءت هذه الدراسة للكشف عن مظاهر الطب النبوي الوقائي والعلاجي وخصائص كل منهما، واعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي في جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع، ومن ثمَّ المنهج التحليلي لاستخلاص أهم المظاهر والخصائص والضوابط في مجال الطب النبوي في ضوء ما توصل إليه الطب الحديث. ومن أهم النتائج التي توصَّل إليها الباحث: أنَّ الطب النبوي وقائي وعلاجي، شامل لمعظم أمراض القلوب والأنفس والأبدان والأرواح، كما أنه اختصَّ بنظرة تكاملية لوقاية الإنسان من كل ما هو ضار على كافة الأصعدة في كل زمان ومكان، تجسَّد ذلك كله من خلال أحاديث نبوية شريفة قرَّرت أصولًا صحية عامة وتفريعات علاجية خاصة للحفاظ على صحة الإنسان في رحلة سيره إلى الرحمن.

[1] هاتف: ٠١٨٢١٧١٣٤٤ إيميل: habibhoussem7@gmail.com

تمهيد:

خلق الله كل شيء فقدره تقديرًا، فجعل الغذاء المتكون من مأكل ومشرب يحتوي على عناصر مفيدة للجسم، تعطي الجسم القدرة على النمو بالشكل السليم، وتحمي الجسم من الأمراض، وتوفر للفرد الطاقة اللازمة للقيام بالواجبات والأعمال المنوطة به. فالتغذية المتوازنة هي أساس صحة الجسم، ومعظم الأمراض التي يشكو منها الناس أساسها التغذية غير المتوازنة، وجعل النباتات غذاء لا تستغني عنه الحياة، وأوجد فيه أيضاً الدواء للأمراض. وأعطى الحيوان الذي لا يعقل غريزة الاهتداء إلى نوع النبات الذي يشفيه من مرضه. والعاقل عليه أن يهتدي إلى النباتات الشافية من الأمراض، بالدراسة والتجارب والاستنتاج.

وتاريخ التطبيب قديم جدًّا يرجع إلى العصور الأولى من التاريخ: عصر الفراعنة في مصر، وقدماء الهنود، وحكماء اليونان... وغيرهم حتى جاء العرب المسلمون، وتوسعوا في هذا العلم بتجارب جديدة، وفي مقدمتهم الرازي وابن سينا.

وفتح العرب للأندلس قد خدم الطب في أوروبا، بأن زودها بالكثير من معلومات الأطباء العرب والمسلمين، وازدهر هذا العلم كثيرًا بعد اكتشاف القارة الأمريكية وما فيها من كنوز كثيرة من الأعشاب الطبية.

وبعد اكتشاف الطباعة في القرن الخامس عشر للميلاد كثرت المؤلفات عن التداوي بالأعشاب، مع الاستناد إلى التجارب والنتائج فقط دون الاهتمام بالبحث العلمي عن موادها الشافية أو طرق تأثيرها في جسم المريض.

وكان الأطباء يمارسون مهنة جمع الأعشاب، وتحضير الدواء منها بأنفسهم حتى سنة ١٢٢٤م، حيث افتتحت أول صيدلية نباتية في العالم في إيطاليا، وأصدر القيصر فيها مرسوماً خاصاً يحصر مهمة تحضير الأدوية من الأعشاب بالصيادلة فقط، على أن يبقى للطبيب مهمة تحديد مقدار ما يجب أن يستعمل منها ممزوجاً، وكيفية استعمالها.

وبعد أن ازدهرت الكيمياء في بداية القرن التاسع عشر للميلاد، وصار باستطاعتها تحليل الأعشاب لمعرفة المواد الفعالة فيها، واستخراجها أو تركيبها كيماوياً من مصادر كيماوية أخرى.

بدأ التداوي بالأعشاب ينطوي في عالم الإهمال ليحل مكانه التداوي بالأقراص والأشربة المستخلصة من الأجزاء الفعالة في الأعشاب أو من المواد الكيماوية غير العضوية. وكان من المأمول أن تكون هذه الأدوية الصناعية أحسن فعالية من الأعشاب؛ لأنها خلاصة المواد الفعالة فيها، ولكنَّ التجارب أثبتت فيما بعد أن لبعضها أضرارًا جانبية كثيرة ولو على المدى البعيد، وكذلك قد تؤدي إلى مضاعفات خطيرة، إضافة إلى إمكانية التداخل الدوائي وما ينجم عنه من آثار، ليبقى ما خلق الله في الكون للإنسان من أعشاب وغيرها أحسن فعالية من إنتاج المصانع الكيماوية[٢].

[2] أمين رويحة، **التداوي بالأعشاب**، (القاهرة: الأجيال للنشر والتوزيع، ط١، د.ت)، ص٣-١٠ بتصرف.

أثر الإسلام في تقدم الطب

حارب الإسلام بعض الخرافات الطبية، فجعل الطيرة والتمائم والرقى من الشرك، وحذَّر من استشارة العرّافين أو الكهنة أو التوجه لغير الله. وعدّ المنجمين كاذبين ولو صدقوا. وحثّ على النظافة وحفظ الصحة في العبادات من وضوء وطهارة وصوم.

ومن جهة أخرى أجاز الإسلام الرقية الشرعية، وحضّ على معالجة المرضى بالصدقة، وهما شكلان من أشكال المعالجة النفسية التي تستند إلى الإيمان واليقين[٣].

ولم يكتف الإسلام بالمعالجة النفسية، بل كان يقرنها دائمًا بالمعالجة المادية. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه بينما كان يصلي إذ لدغته عقرب في إصبعه، فدعا بإناء فيه ماء وملح، فوضع فيه إصبعه وهو يقرأ القرآن حتى سكن ألمه[٤].

وفي الأحاديث النبوية مجموعة كبيرة من النصائح فيما يتعلق بالطب النبوي الوقائي والعلاجي، كما سيأتي بيانه.

ومن تلك الأحاديث الشريفة للنبيصلى الله عليه وسلم قوله: "ما أنزل اللهُ عز وجل مِنْ داءٍ إلا أنزل معه شفاءً، وقال عفانٌ مرةً: إلا أنزل له شفاءً علِمه مَنْ علِمه وجهِله مَنْ جهِله"[٥].

وقوله ﷺ: "لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء، برأ بإذن الله عز وجل"[٦].وكما جاء من حديث زياد بن علاقة، عن أسامة بن شريك، قال: كنت عند النبي ﷺ، وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله! أنتداوى؟ فقال: "نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد"، قالوا: ما هو ؟ قال: "الهرم"[٧].

يقول ابن القيم: "فقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها، ويجوز أن يكون قوله: "لكل داء دواء"، على عمومه حتى يتناول الأدواء القاتلة، والأدواء التي لا يمكن لطبيب أن يبرئها، ويكون الله عز وجل قد جعل لها أدوية تبرئها، ولكن طوى علمها عن البشر، ولم يجعل لهم إليه سبيلاً، لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله، ولهذا علق النبي ﷺ الشفاء على مصادفة الدواء للداء، فإنه لا شئ من المخلوقات إلا له

---

[3] مُحَمَّد زهير البابا، **تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة**، (دمشق: جامعة دمشق، ط٥، ١٩٩٨م)، ص١٣٧-١٣٩.

[4] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة**، تحقيق: علي بن حسن بن عبدالحميد الحلبي، (الدمام: دار ابن القيم، ط١، ١٤٢٢هـ). رقم الحديث: ٤٤٩١.

[5] عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، رقم الحديث ٧٨٢٠.

[6] مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، (دمشق: دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٤هـ)، رقم الحديث: ٢٢٠٤.

[7] مُحَمَّد بن عيسى الترمذي، **الجامع**، تحقيق: أحمد بن مُحَمَّد شاكر، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، رقم الحديث: ٢٠٣٨.

ضد، وكل داء له ضد من الدواء يعالج بضده، فعلق النبي ﷺ البرء بموافقة الداء للدواء، وهذا قدر زائد على مجرد وجوده، فإن الدواء متى جاوز درجة الداء في الكيفية، أو زاد في الكمية على ما ينبغي، نقله إلى داء آخر، ومتى قصر عنها لم يف بمقاومته، وكان العلاج قاصراً.وفي قوله ﷺ: "لكل داء دواء"، تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء. وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه"[٨].

مفهوم الطب النبوي

هو مجموعة من النصائح والإرشادات المنقولة عن النبي ﷺ في الطب الذي تطبب به ووصفه لغيره، والتي وصلت على شكل أحاديث نبوية، بعضها علاجي وبعضها وقائي. فهي تعالج أمراض القلوب، والأنفس، والأجساد.

ومنها ما هو علاج بالأدوية الطبيعية ومنها ما هو علاج بالأدوية الروحانية والأدعية والصلوات والقرآن الكريم. وهو طب يعتمد على اليقين وليس الظن، حيث إنّ مصدره القرآن الكريم والسنّة النبوية[٩].

فضل الطب النبوي:

قال ابن القيم: "وقد تقدم أن طب الأطباء بالنسبة إلى طب الأنبياء أقل من نسبة الطُرقية والعجائز إلى طب الأطباء، وأن بين ما يُلَقَّى بالوحي وبين ما يُلقى بالتجربة والقياس من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق. ولو أنَّ هؤلاء الجهال وجدوا دواء منصوصًا عن بعض اليهود والنصارى والمشركين من الأطباء، لتلقوه بالقبول والتسليم، ولم يتوقفوا على تجربته.نعم نحن لا ننكر أن للعادة تأثيرًا في الانتفاع بالدواء وعدمه، فمن اعتاد دواء وغذاء كان أنفع له، وأوفق ممن لم يعتده، بل ربما لم ينتفع به من لم يعتده.وكلام فضلاء الأطباء وإن كان مطلقًا، فهو بحسب الأمزجة والأزمنة والأماكن والعوائد، وإذا كان التقييد بذلك لا يقدح في كلامهم ومعارفهم، فكيف يقدح في كلام الصادق المصدوق، ولكن نفوس البشر مركبة على الجهل والظلم، إلا من أيده الله بروح الإيمان، ونور بصيرته بنور الهدى"[١٠].

يقول ابن قيم الجوزية: "فكان من هَدْيِ النبي ﷺ فعلُ التداوى في نفسه، والأمرُ به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، ولكن لم يكن مِن هَدْيه ولا هَدْى أصحابه استعمالُ الأدوية المركَّبة... بل كان غالبُ أدويتهم بالمفردات، وربما أضافُوا إلى المفرد ما يعاونه، أو يَكْسِر سَوْرته، وهذا غالبُ طِبِّ الأُمم على اختلاف أجناسِها من العرب والتُّرك،

---

[8] مُحَمَّد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٩٩٤م)، ج٤، ص١٣.

[9] انظر:https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨A%٩D%٨٨%٩D%٨A%٨D%٨٦%٩_%D٨A%٨D%٧B%٨

[10] ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج٤، ص٣٧.

وأهل البوادى قاطبةً، وإنما عُنى بالمركبات الرومُ واليونانيون، وأكثرُ طِبِّ الهند بالمفردات. وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوى بالغذاء لا يُعْدَل عنه إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيط لا يُعْدَل عنه إلى المركَّب. قالوا: وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحِمية، لم يُحاوَلْ دفعه بالأدوية.قالوا: ولا ينبغى للطبيب أن يولعَ بسقى الأدوية، فإنَّ الدواء إذا لم يجد في البدن داءً يُحلِّله، أو وجد داءً لا يُوافقه، أو وجد ما يُوافقه فزادت كميتهُ عليه، أو كيفيته، تشبَّث بالصحة، وعبث بها، وأربابُ التجارِب من الأطباء طِبُّهم بالمفردات غالباً، وهم أحد فِرَق الطبِّ الثلاث.والتحقيقُ في ذلك أن الأدوية من جنس الأغذية، فالأُمة والطائفة التي غالبُ أغذيتها المفردات، أمراضُها قليلة جداً، وطبُّها بالمفردات، وأهلُ المدن الذين غلبتْ عليهم الأغذيةُ المركَّبة يحتاجون إلى الأدوية المركَّبة، وسببُ ذلك أنَّ أمراضَهم في الغالب مركَّبةٌ، فالأدويةُ المركَّبة أنفعُ لها، وأمراضُ أهل البوادى والصحارى مفردة، فيكفى في مداواتها الأدوية المفردة. فهذا برهانٌ بحسب الصناعة الطبية"[١١].

أهم مميزات الطب النبوي:

١- إنه ينظر للإنسان نظرة كلية، فهو روح ونفس وجسد وجزء من مجتمع، وجزء من بيئة، هذا التكامل في النظرة يجعل التشخيص متكاملاً والعلاج يتناسب مع هذا التشخيص، هذه النظرة الكلية تجعل الطرق العلاجية وربما أكثر من طريقة، فقد يقرأ القرآن على المريض، قد يعطى عسلاً، قد يفرج عنه بالكلمات الطيبة والدعاء المأثور، وقد يعطى بعض الأدوية المركبة إذا كان هذا هو الأصلح له، لكن إذا اجتمع كل هذا معًا فستكون النتيجة سريعة وفيها شفاء بإذن الله تعالى.

٢- سهولة تطبيقه فهو في متناول الجميع. لا يقتصر على زمان ومكان محدد، فهو صالح لكل زمان ومكان.

٣- علاج فعّال للكثير من الأمراض التي يعاني منها الإنسان مثل: أمراض القلب، والصداع، والسرطان، وغيرها.

٤-خالٍ من الأخطاء إذا استخدم بوسطية واعتدال، وعن معرفة وامتثال.

٥-الأدوات والمواد المستخدمة في تطبيقه رخيصة الثمن، يمكن الحصول عليها بسهولة.

٦-يحرّم العلاج بالمواد المحرّمة إلا في الحالات شديدة الخطورة.

٧-لا يتسبب في حدوث أعراض جانبيّة وسلبية على الجسم، فهو يعتمد بشكل كبير على الأعشاب الطبيعيّة، والمواد الغنيّة بالفوائد.

[11] ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج٤، ص١٠.

أسباب اللجوء للطب النبوي

إنَّ السبب الحقيقي من وراء اللجوء إلى الطب النبوي يرجع إلى المرضى أنفسهم، فكثير من المرضى قد ذهبوا إلى أطباء وتداووا بأدوية كثيرة جداً خاصة بالعلاجات الحديثة المعروفة ومضت عليهم السنون وهم يعانون من نفس المرض وخاصة الأمراض المزمنة، ثم إنَّ علاقة الطبيب يجب أن تكون مع المريض علاقة إنسانية بحتة وفيها مشاعر المحبة والرحمة، هذه العلاقة تجعل المريض يفتح صدره للطبيب ويسأله عن وسيلة أخرى لعلاج مرضه؟ بعد أن تعب من الأدوية، وقد يكون بعضهم تعرض لعملية جراحية أو أكثر دون جدوى والمعاناة مستمرة، يشكو منها المريض وأقاربه.

ونحن المسلمين لدينا تراث عظيم ونبي عظيم حمل إلينا علماً عظيماً لو تأملناه لعلمنا أننا نجلس على كنز عظيم ونستجدي بالناس الآخرين تحت دعوى الحضارة والعصرنة.

صحيح أنَّ التقنية والحضارة الحديثة التي بدأت في القرن الماضي وشملت كل مناحي الحياة ومنها الطب بالطبع، وبدأت الأدوية التي كانت سابقاً طبيعية وتحولت إلى مُصَنَّعة في المعامل والمخابر، لكن هذه الأدوية التي لا توجد في الطبيعة على ما هي عليه الآن أحدثت مشاكل في الأجسام، وهناك إحصائيات كثيرة في العالم تقول أن ٥١% من الأدوية الكيماوية تظهر لها آثار بعد عشر سنوات من استخدامها غير مكتوبة في النشرة الموجودة في هذه الأدوية.

وبعد هذه المعاناة الجماهيرية المتشابهة، بدأت الضغوط على الأطباء وعلى غيرهم، وعلى من له اهتمام بهذا الأمر للعودة إلى هذه الطبيعة.

ولا شك أنَّ النبي ﷺ بُعث هادياً ومبشراً ونذيراً ليدل الأمة على كل خير، فمن المصلحة ومن مسؤولية النبي أن يحرص على صحة أفراد المجتمع وصحة شعبه لكي يكونوا أفراداً، وقادة، ودعاة، أصحاء سليمين في أجسامهم وفي عقولهم وفي أذهانهم وفي عقيدتهم فحرص –عليه الصلاة والسلام– أن يدل المسلمين على أمور كلية جامعة في موضوع الصحة، ولكنها ليست تفصيلية؛ لأنه ليس طبيباً في المقام الأول وإنما دل على أمور كلية جامعة لو بحثنا فيها لوجدنا فيها خيراً كثيراً، ومع ذلك النبي – عليه الصلاة والسلام– إذا قرأنا السيرة بتمعن كان يأتيه المريض فيشكو له أو يكتشف هو إنساناً مريضاً فإما أن يقول له: اعمل.. افعل كذا، أو قد يقرأ عليه، أو قد يقول له: اذهب إلى الطبيب، اذهب فتطبب، وكان يدل على الحارث بن كلدة المشهور بالطب في ذاك الزمان.

ولو تأملنا الكون وسنة الله في كونه وخلقه لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى خلق أشياء كثيرة جداً ورائعة وعجيبة ولم ترد أيضاً في الطب النبوي، فهذا كله يجعلنا لا نحصر الطب في الطب النبوي فقط كما يتعصب البعض عن ضيق أفق، وإنما نقول: أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل نبيه الكريم يدلنا على خيرٍ كثير في أمورٍ ثبتت فاعليتها، ولكن بنفس الوقت هذه الأمور ليست هي الطب كله، بل هي مساندة ومساعدة وخاصة أننا نتميز كمسلمين بشيء واحد

لا يعرفه كل البشر الآخرون وهو القرآن، القرآن قد يكون شافياً لكثير من الأمراض، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ**﴾ [الإسراء:٨٢].

أصل الطب النبوي الوقائي:

يمكن أن يعتبر هذا النوع في حقيقة الأمر إرشادات صحية أكثر منه طب، فهو وقائي احتياطي حتى لا يقع المرض، فالوقاية خير من العلاج، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج، وأكثر ما ثبت من الطب النبوي هو وقائي بالدرجة الأولى، فلو تأملنا ما ورد عن النبي ﷺ في سنته الشريفة حيث يحث على غسل اليدين، ونظافة الثوب، ونظافة المسكن، والصوم، والرياضة، والحركة، وكل هذه الأمور مجتمعة تجعل الإنسان يقي نفسه من المشاكل الصحية التي قد تأتي بسبب هذا أو ذلك.

ومعظم الأمراض المعدية تأتي عن طريق التلوث غالباً، ولهذا جاء الحديث: "لا يوردن مُمرض على مُصِحَّ"[١٢].

فالوقاية أفضل بكثير من العلاج، ولا شك أنَّ العلاج دائماً وفي جميع الأحوال يكلف، والتكلفة العلاجية ترهق بعض الدول الآن بشكل كبير، لذلك الوقاية أفضل وأرخص وأوفر بكثير، وأحياناً العلاج إذا وقع مرض ما لا يكون العلاج شافي، أو قد يترك عاهة فيكون الإنسان معاقاً بدلاً أن يكون صحيحاً، ولذلك حثَّ النبي ﷺ على الوقاية من هذه الأمور كلها –كما هو موجود في السنة النبوية– فهذا هو الصحيح وهذا هو الأولى والمنطق والعقل.

أصل الطب النبوي العلاجي:

قال عامر الشعبي –رحمه الله–: قيل لعائشة رضي الله عنها: يا أمَّ المؤمنين، هذا القرآنُ تلقيتِه عن رسول الله ﷺ، وكذلك الحلال والحرام، وهذا الشعر والنسب والأخبار سمعتها من أبيك وغيره؛ فما بال الطب؟ قالت: كانت الوفود تأتي رسولَ الله ﷺ فلا يزال الرجل يشكو علَّةً، فيسأله عن دوائها، فيُخبره بذلك، فحفظتُ ما كان يصفه لهم وفَهِمْته[١٣].

مجالات الطب النبوي الوقائي:

أمرنا الرسول ﷺ بالقيام ببعض الأمور الصحية العامة ونهانا عن الكثير منها أيضاً، وذلك للحفاظ على صحة الجسم وحمايته من الأمراض سواء النفسيّة، أو الجسديّة، مثل استخدام الماء والاستفادة من فوائده، ونتف الإبط، وتقليم

---

[12] مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه**، تحقيق: محب الدين الخطيب الناشر: (القاهرة: المكتبة السلفية، ط١٤٠٠، ١هـ)، رقم الحديث: ٥٧٧١.

[13] مُحَمَّد بن أحمد الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، (دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون، د.ط، ٢٠٠١م)، ج٢، ص١٩٨.

الأظافر، وتحريك أعضاء الجسم في الصلاة، وتنظيف الفم بالسواك، وقص الشعر وتسريحه، وغسل اليدين قبل الطعام وعند القيام من النوم، وتنظيف البيوت والملابس من الأوساخ، كما نهى عن أكل الخبائث مثل: لحم الخنزير، والميتة، وحرّم الخمر، والمخدرات، والحشيش.

ومن ذلك أيضا: النوم المبكر والصحو المبكر، والاكتفاء من الطعام بالثلث، وأيضا ممارسة الرياضة.

فملء البطن مثلا كما ورد في الحديث النبوي: "ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم بضع لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه"[١٤].

فاللقيمات هي مرتبة الحاجة، حيث يحتاجها الجسم ليبقى في حيويته ونشاطه ويقوم بأعماله، ومرتبة الكفاية هي الثلث أن يكتفي بهذا القدر تماماً، والمرتبة الثالثة هي مرتبة الفُضلة، فضول للطعام الذي يجعل الإنسان يزداد وزناً ويحمر وجهه ويقوى دمه بزيادة، ويصبح حينئذ عنده بعض مشاكل التخمة ومشاكل السمنة، ومن ثم يجد نفسه مريضا يريد أن يعالج مرضه بوسائل مكلفة ومزعجة ومرهقة له.

ثم إنَّ الصحة العامة إذا أهملها الإنسان قد لا تقف حدود أذاها على الإنسان نفسه، بل تنتقل إلى جيرانه ومجتمعه والبلد الذي يسكن فيه، فمثلاً من قام بإلقاء القمامة وغيرها –وهي مفتوحة– خارج منزله وتكاثر عليها الذباب والحشرات ثم انتقلت هذه الحشرات إلى أطفال آخرين أو طعام، أو ماء مجاور، فهذا يزيد من قضية التلوث.

ومثل ذلك قضية التبول والتغوط في الماء وفي الطرقات، فقد نهى عنه رسول الله ﷺ؛ لأنَّ هذا أيضاً ينقل الأمراض، كذلك حث عليه الصلاة والسلام على تنظيف الأفنية، كذلك حث على تغطية الإناء والسقاء في الليل لئلا تأتي حشرات أو غيرها وتلوث هذا الماء، كذلك حينما تشتد موجة الحر حث النبي صلى الله عليه وسلمالمسلمين على تأخير صلاة الظهر حتى يبرد الجو قليلاً فلا يتعرضوا إلى ضربات الشمس، كذلك حث عليه الصلاة والسلام سواء بالحديث المباشر أو غير المباشر عن الابتعاد عن كل عادة اجتماعية تضر في المجتمع مثل السهر، الضجيج، الإزعاج، فقال ﷺ كلمة جامعة: "لا ضرر ولا ضرار"[١٥].

وكذلك حديث الطاعون وأنه إذا سمع المسلمون به في أرض معينة فلا يدخلوها وإذا كانوا في أرض فيها الطاعون فلا يخرجوا منها[١٦]، وهو بذلك يقرر قاعدة صحية في غاية الأهمية وهي الوقاية والحجر الصحي.

مجالات الطب النبوي العلاجي:

أمرنا الرسول ﷺ بالتداوي بالقرآن الكريم، والأدعية، والمواد والأعشاب الطبيعيّة مثل: العسل، والحجامة، وألبان الإبل،

---

[14] الترمذي، **الجامع: سنن الترمذي**، رقم الحديث: ٢٣٨٠.

[15] أحمد بن الحسين البيهقي، **السنن الكبرى**، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٤١٣هـ)، ج٦، ص٧٠.

[16] علي بن أبي بكر الهيثمي، **مجمع الزوائد**، (القاهرة: مؤسسة المعارف، د.ط، ١٤٠٦هـ)، ج٢، ص٣١٨.

والحبة السوداء... بالإضافة إلى أنه نهى عن اللجوء إلى السحرة والدجالين والمشعوذين لعلاج الأمراض الروحيّة.

فقد حث النبي عليه الصلاة والسلام على التداوي بالعسل مثلا لما فيه من فوائد عجيبة.كما أرشد النبي عليه الصلاة والسلام إلى عدم إغفال الجانب النفسي في العلاج فقد حث على زيارة المريض في أكثر من حديث لما لزيارة المريض من آثار نفسية طبية تعمل على تقوية جهاز المناعة لديه ففي الحديث: "من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع"[١٧].

كما أن الرضا بأمر الله تعالى وقضائه يحدث آثارا عجيبة في نفس المريض قد تخلصه من مرضه بأمر الله تعالى فقد دخل النبي عليه الصلاة والسلام مرة على رجل مريض فقال له: طهور إن شاء الله، فقال الرجل وقد كان كبيرا في السن: بل هي حمى تفور على رجل تزيره القبور، فأعادها، فقال النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أمَا إذا أبيتَ، فهو كما تقولُ، وما قضى الله فهو كائِنٌ، قال: فما أمسى من الغدِ إلَّا وهو ميِّتٌ[١٨].فمن أراد الرضا وتخلص من الشعور السلبي زاد ذلك من قوته ومناعته ضد الأمراض بأمر الله تعالى ومن سمح للشعور السلبي والسخط أن يسيطر عليه يئس وزاد تعبه وألمه.

أمثلة عن الطب النبوي:

مثال عن الطب الوقائي: السواك

ورد في الصحيحين عن النبي، ﷺ، أنه قال: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة".

وفيهما أنه ﷺ، كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك.وفي صحيح البخاري تعليقاً عنه ﷺ "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب".وفي صحيح مسلم أنه ﷺ كان إذا دخل بيته ، بدأ بالسواك والأحاديث فيه كثيرة.

وصح عنه من حديث أنه استاك عند موته بسواك عبد الرحمن بن أبي بكر، وصح عنه أنه قال "أكثرت عليكم في السواك".

يذكر ابن قيّم الجوزية عن السواك أنه: "أصلح ما اتخذ السواك من خشب الأراك ونحوه، ولا ينبغي أن يؤخذ من شجرة مجهولة، فربما كانت سماً، وينبغي القصد في استعماله، فإن بالغ فيه فربما أذهب طلاوة الأسنان وصقالتها، وهيأها لقبول الأبخرة المتصاعدة من المعدة والأوساخ، ومتى استعمل باعتدال جلا الأسنان، وقوى العمود وأطلق اللسان ومنع الحفر وطيب النكهة، ونقى الدماغ وشهى الطعام.

وأجود ما استعمل مبلولاً بماء الورد، ومن أنفعه أصول الجوز.وفي السواك عدة منافع يطيب الفم ويشد اللثة

---

[17] مسلم، **صحيح مسلم**، رقم الحديث:٢٥٦٨.

[18] الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج٢، ص٣١٠.

ويقطع البلغم، ويجلو البصر ويذهب بالحفر ويصح المعدة ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجاري الكلام وينشط للقراءة والذكر والصلاة ويطرد النوم ويرضي الرب، ويعجب الملائكة ويكثر الحسنات"[١٩].

وقد درس طب الأعشاب الخصائص الطبية العديدة للسواك: فالأبحاث المخبرية الحديثة تؤكد أن السواك يحتوي على العفص بنسبة كبيرة وهي مادة مضادة للعفونة، مطهرة، قابضة تعمل على قطع نزيف اللثة وتقويتها، كما تؤكد وجود مادة خردلية هي السنجرين ذات رائحة حادة وطعم حراق تساعد على الفتك بالجراثيم.

وأكد الفحص المجهري لمقاطع السواك وجود بلورات السيليكا وحماضات الكالسيوم التي تفيد في تنظيف الأسنان كمادة تزلق الأوساخ من الأسنان. وأكد الدكتور طارق الخوري في مقالته التي نشرها في مجلة Clinical Preventive Dentisteryعام ١٩٨٣، أكد وجود الكلورايد مع السيليكا وهي مواد تزيد بياض الأسنان، وعلى وجود مادة صمغية تغطي الميناء وتحمي الأسنان من التسوس[٢٠].

وهكذا نرى كيف تتضافر التوجيهات النبوية في المحافظة على صحة الفم والأسنان وحمايتها من النخر وسواها وذلك باستعمال السواك.

مثال عن الطب العلاجي:شرب العسل

يقول الله تعالى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٦٨-٦٩]

قال ابن كثير -رحمه الله-: "قوله تعالى: ﴿**يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**﴾ [النحل: ٦٩] ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلافِ مراعيها ومأكلها منها، وقوله: ﴿**فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**﴾ [النحل: ٦٩]، أي: في العسل شفاء للناس مِن أدواء تَعرِض لهم؛ قال بعض مَن تكلَّم على الطب النبوي: لو قال: فيه الشفاء للناس، لكان دواءً لكلِّ داء، ولكن قال: فيه شفاء للناس؛ أي: يصلح لكلِّ أحد مِن أدواء باردة، فإنَّه حار، والشيء يداوى بضدِّه"[٢١].

روى البخاري عن ابن عباس، عن النبيِّ ﷺ قال: "الشفاء في ثلاثة؛ في شرطة محجم، أو شَربة عسلٍ، أو كية بنار، وأنا أنهى أمَّتي عن الكيِّ"[٢٢].

---

[19]ابن القيم، **زاد المعاد**، ج٤، ص٢٩٦.

[20]عن مقالة "**السواك بين الطب والإسلام**" للدكتور مُحَمَّد نزار الدقر، عن موقع الانترنت www.55a.net

[21]أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير بن كثير**، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، (الرياض: دار طيبة، ط٢، ١٩٩٠م)، ج٤، ص٥٨١.

[22]البخاري، **صحيح البخاري**، رقم الحديث: ٥٦٨١.

روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري، قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: إنَّ أخي استطلق بطنه –أصابه إسهال–، فقال رسول الله ﷺ: "اسقِه عسلًا"، فسقاه، ثم جاءه فقال: إني سقيتُه عسلًا فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة، فقال: "اسقه عسلًا"، فقال: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صَدَقَ الله، وكذب بطن أخيك"، فسقاه فَبَرَأ[٢٣].قال ابن كثير: "قال بعض العلماء بالطب: كان هذا الرجل عنده فضلات، فلمَّا سقاه عسلًا وهو حار تحلَّلتْ، فأسرعت في الاندفاع، فزاد إسهاله، فاعتقد الأعرابيُّ أنَّ هذا يضرُّه وهو مصلحة لأخيه، ثم سقاه فازداد التحليل والدفع، ثم سقاه فكذلك، فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرَّة بالبدن استمسك بطنه، وصلح مزاجه، واندفعت الأسقام والآلام ببركة إشارته عليه من ربِّه أفضل الصلاة والسلام"[٢٤].يقول ابن قيّم الجوزية: "والعسل فيه منافع عظيمة، فإنه جلاء للأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم، ومن كان مزاجه بارداً رطباً، وهو مغذ ملين للطبيعة، منق للكبد والصدر، مدر للبول، موافق للسعال الكائن عن البلغم، وإن شرب وحده ممزوجاً بماء نفع من عضة الكلب وأكل الفطر القتال، ويحفظ كثيراً من الفاكهة ستة أشهر. وإذا لطخ به البدن المقمل والشعر، قتل قمله وصئبانه. وإن استن به، بيض الأسنان وصقلها، وحفظ صحتها، وصحة اللثة.

فهذا الذي وصف له النبي ﷺ العسل، كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته عن امتلاء، فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء، فإن العسل فيه جلاء، ودفع للفضول. وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع، وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء، فلما تكرر ترداده إلى النبي ﷺ، أكد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء. وفي قوله ﷺ: "صدق الله وكذب بطن أخيك"، إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء. وليس طبه ﷺ كطب الأطباء، فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل"[٢٥].

ضوابط الطب النبوي:

بالرغم من أهميّة الطب النبوي وقدرته في علاج الكثير من الأمراض، إلّا أنّه يجب على من يريد أن يطبق بعض ما جاء فيه مراعاة الحالة المرضية للشخص، والطريقة والجرعة المناسبة لعلاجه، فكل مريض تتم معالجته بطريقة معيّنة تختلف عن مريض آخر، هذا من حيث الناحية التطبيقية العلاجية.

وأما من حيث الناحية النظرية فإنَّ معظم هذه الأحاديث (أحاديث الطب النبوي: مثل حديثالعسل) لم يحدد الجرعة

---

[23] مسلم، **صحيح مسلم**، رقم الحديث: ٢٢١٧.

[24] ابن كثير، **تفسير بن كثير**، ج٤، ص٥٨٣.

[25] ابن القيم، **زاد المعاد**، ج٤، ص٣٣.

والكمية والكيفية بالتفصيل، ولا أي نوعية من النبات أو النحل أو الدواء بالضبط...وهذا ما يستدعي بحوثا علمية دقيقة لخدمة هذا التراث النبوي العظيم. فلا بد أن تكون معظم مسائله مدروسة علميا أيضًا، ومقننة حتى لا نؤذي الناس باسم الدين، وكي يغلق الباب أمام بعض الناس الذين يحاولون ربط كل ما هب ودب بالطب النبوى وبالدين من أجل تحقيق شيئًا من المنافع الدنيوية، أو الذين يسعون في محاولات رخيصة منهم للكسب المادي على حساب المرضى المساكين، بل وللأسف أن يكون هذا نصب يجرى باسم الدين.

ثم إنه لا ينبغي أن يستغل بعض الناس كثيراً من الأحاديث الضعيفة والأحاديث التي لا أصل لها، ويستغلوا ضعف الناس، ضعف ذوي الحاجات من مرضى ومَنْ هم محتاجون إلى الكثير من الرعاية الطبية، ويستغلوا أيضاً المشاعر الدينية عند الناس لتحقيق مآرب شخصية، ولا نزعم أنَّ كل الذين يتعاملون بالطب النبوي هم من هذا الفصيل من الناس، بلا شك هنالك الكثيرون ممن يتعاملون معه -إذا جاز التعبير- طبقاً لقواعد الكتاب والسنة مراعين حدًّا عالياً من الأخلاق والصدق والأمانة وحدًّا عالياً من الالتزام بالهدي النبوي، وحدًّا عاليا من الثقافة والعلم في مجال الصحة العامة والوعي المعرفي.

ضرورة عدم الاستغناء عن الطب النبوي والطب الحديث معا:

لا يمكن الاستغناء بالطب النبوي عن أنواع الطب الأخرى، كما أنه لا يمكن الاستغناء بأنواع الطب الأخرى عن الطب النبوي، وذلك لأنَّ الله -سبحانه وتعالي- خلق الحياة الدنيا متغيرة لكل زمان ومكان، يعني طرق العلاج المختلفة والمتجددة تتجدد مع مرور الوقت، فالطب النبوي ذكر مثلا مجموعة من الإرشادات والعلاجات، لكن فيه أشياء ما ذكرت في الطب النبوي، صحيح أنه قد نستنتج ونقيس، لكن فيه أشياء جديدة يمكن أن نستخدم آلات فيها أو أشعة إذا كانت آمنة، أو تحاليل...

وفي المقابل نجد أنَّ بعض الأدوية -خاصة الطبيعية منها-أعدادها هائلة، ومصدرها من ملايين النباتات في العالم، وهي لم تخلق عبثا، بل فيها أسرار طبية طيبة، وهي لا تتعارض مع مفهوم الطب الحديث، بل إن المسلم ما عليه إلا أن يسعى ويجتهد؛ لأنه خليفة الله في أرضه، يجب أن ينظر بالمنظور الواسع، المنظور المتفتح، بحيث يأخذ كل ما ينفعه، والحكمة ضالة المؤمن كما ورد، فينبغي أن يستفيد من كل ما خلق الله -سبحانه وتعالى- بشرط أن يكون هذا آمنا ومدروسا بطريقة علمية دقيقة.

الخاتمة:

أهم النتائج:

- إنَّ الطب النبوي وقائي وعلاجي، شامل لمعظم أمراض القلوب والأنفس والأبدان والأرواح.
- اختصَّ الطب النبوي بنظرة تكاملية كافية لوقاية الإنسان من كل ما هو ضار على كافة الأصعدة في كل زمان ومكان.
- التوصية بعدم استغلال قداسة الطب النبوي في تحقيق المكاسب الشخصية والدنيوية، لما في ذلك من فساد للأبدان والأديان.
- ضرورة الرجوع إلى الطب النبوي ودراسته دراسة علمية دقيقة وعدم الاستغناء عنه.
- ضرورة الجمع بين الطب النبوي والطب الحديث في العلاج.

والله أعلم وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.